30 مايو 1972

من سرير ٩ ... بالعنبر رقم ٤ ..

المرض والممرض والمريض

بعض ما يجرى فى مستشفى السلمانية

الصدفة وحدها جعلتنى اخط هذه الاسطر . وأنا قابع على احد الاسرة البيضاء . كل ما حولى ابيض . الشراشف . الجدران . ملابس الموظفين . والمرضى .. كل شىء هنا ابيض فيما عدا أحاسيس سوداء قاتمة تنتابنى وتدفع بى بالحاح الى اتخاذ قرار احمق . وهو الاتصال تليفونيا لازعاج الدكتور على فخرو فى منزله .. أيا كانت الساعة . ورجاؤه الحضور ليرى بنفسه كيف تسير الامور فى هذا العنبر او «المعتقل» .. والتسمية الاخيرة أقرب الى الصواب من حيث الواقع ..

أنا لا اكتب لك سيدى الوزير بأحاسيس مريض يشعر ان العالم يظلمه . حيث يتخلى عنه . وهو يواجه الموت .. ذلك لان ما اعانيه . لايعدو آلاما ستزول بمرور الوقت .. فحالتى ما تقوله الفحوص الطبية .. فحالتى النفسية حسنة للغاية . واطمئنك الى اننى استطيع فرز الالوان عن بعضها مهما تداخلت ..

ثم .. انا لا اكتب .. لان عملى يتطلب منى ان اكتب شيئا .. اى شىء .. فانا فى اجازة ولست ملزما تجاه الجلة بشىء !!

بعد هذه المقدمة الضرورية اليك سيدى الوقائع . الضحك والبكى منها على حد سواء . بل شى هكذا لا استطيع فصلها . حتى لتختلط على الامر احيانا . واحس تأثيرا عكسيا لما يريده العمل (المرضى) .. واليك مثالا .. احد المرضين يستدرج . مريضا قرويا ويدير على سبيل المزاح فقط لان الطريقة التى يتحرك ويتحدث بها ذلك المريض مثيرة للضحك .. المرضى والممرضون يضحكون .. يجدون فى ذلك متعة .. هذه نقطة نعتقد اهميتها على نفسية ذلك المريض .. كل هو يتألم لما يجرى .. ام انه ابله حقا . وفى كلتا الحالتين لا احالك سيدى الوزير مستقبل ذلك بروح اللامبالاة ..

لنعد الى البداية .. كانت الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء الاحد ٢١ من الشهر الحالى . حين نقلت من مستشفى النعيم الى العنبر رقم ٤ بمستشفى السلمانية .. كل ما كنت احمله هو راديو ترانزستور وعلبة سجاير . والام مبرحة تمزق صدرى .. يستقبلنى ممرض تقاسيم وجهه لا توحى بالطيبة ابدا .. يضعنى على سرير ويتلو على تعاليم اولية صارمة .. التدخين ممنوع كليه .. يستطيع ان ندخن فى الحمامات فقط .. « ويتنزع . الراديو من يدى ليسلمه الى اخى الذى كان يرافقنى قائلا .. الراديو ايضا ممنوع .. بلغة تناولت سماعة الاذن من جيبى وارينه اياها . لكنه لم يعطنى فرصة الحديث . قال .. لا .. لا .. ممنوع .. ممنوع .. ورحت اشرح اليه كيف ان سماعة الاذن لا تزعج احدا .. وانما .. الخ .. لم يقل شيئا بل حدجنى بنظرة قرأت فيها .. افهم ذلك اكثر منى ايها الغبى !!!؟ رضخت مع علمى انه ينفذ القانون بغباء . عزائى فى ذلك انه ليس القانون الوحيد الذى ينفذ حسب اهواء منفذيه .. !!

بعد حوالى نصف ساعة كنت قد تعرفت من خلال احاديث المرضى على صورة اكثر وضوحا .. فى هذا القسم من العنبر رقم ٤ توجد ستة اسرة خمسة منها مشغولة .. وفى الزاوية يوجد سرير سابع مشغول ايضا .. وفى السرير المقابل لسريرى يرقد الحاج ابراهيم .

الحاج ابراهيم لا ينفك يتحدث ويشتكى .. كان يقول .. اما أنا فى هذا العنبر او هو .. انا لا استطيع ان انام .. ما ان اغمض عينى لدقائق حتى اراه امامى يريد ان يخنقنى .. خمنت ان الحاج ابراهيم كان يهذى .. حاولت النوم . فلم استطع .. اذ ان المريض فى السرير السابع لا ينفك يزعق بكلمات مبهمة .. ومع كل صرخة طلقها يعود الحاج ابراهيم الى حكايته مؤكدا بانه سيخنق هذا المساء ..

اصبحت الانوار . فرأيت بوضوح المريض الذى يرقد فى السرير السابع .. شاب اسمر قامته . عيناه جاحظتان . ليست بهما حركة .. اسنانه بيضاء كبيرة لا تستطيع شفتاه ان تغطيها . منظره بشع بصورة عامة . . يتحرك كالشبح .. يفعل الحقنة المخدرة لم استطع مقاومة النوم .. ولا ادرى كم كانت الساعة حين صحونا جميعا على صراخ الحاج ابراهيم .. فقد وقع ما كان يخشاه . تحرك الشبح من سريره ومشى مترنحا الى ان سقط على سرير الحاج ابراهيم ..

■ خلصونى منه .. سيقتلنى .. لماذا اراكم تضحكون ؟ الست رجلكم .. اهذا وقت ضحك ؟ كانت هذه الكلمات تخرج متعثرة من فم الحاج ابراهيم الراقد على السرير الملاصق لسريره .

جاءه الجواب : انت اقوى منه يا حاج ابراهيم .. اضربه .. انه لا يستطيع حراكا .. اضربه .. انه لا يستطيع حراكا .. اضربه .. قالها وهو يضحك ..

ويحاول الحاج ابراهيم فعل شىء لكنه يعجز عن الحركة .. ويظل يذارى المرضين تارة .. ويسال الشبح تارة اخرى .. ما الذى تريده منى انا لم افعل بك شيئا .. لكن الشبح يظل صامتا .. الى ان يأتى اخيرا احد الممرضين .. جاء يمشى الهوينا واخذ الشبح الى سريره .

واستمر الحاج ابراهيم يهذى طوال الليل : اما انا فى هذا العنبر او هذا الجنون ؟ يجب ان يدعونى اذهب الى البيت فصحتى جيدة انا لست مريضا . كان يقول هذا دون ان ينقطع لحظة واحدة عن السعال الحاد ..

واخذت تائهة الى القوم ساعة او اكثر .. لاصحو فى الساعة السادسة تقريبا .. صوت عبد الباسط عبد الصمد على ما اعتقد . ينبعث من راديو ترانزستور . ولانى مريض كان لابد ان اتاكد تماما من ان ما اسمعه هو راديو فعلا حيث مصدر الصوت .. انه

وهكذا كان فقد خرجا من العنبر ووصلا الصراخ خارج العنبر ..

اقتربت الساعة من التاسعة . والقطور جاهز .. غير ان المشكلة هى انه لا يوجد من يوزعه .. الكل يقول تلك ليست مسئوليتى .. بعد ذلك جاءت السيدة فاطمة وهى امرأة حنونة طيبة القلب بكل ما تحمل الكلمة من معنى . تفصل جميع هموم المرضى بكلمات بسيطة صادقة جاءت فوزعت طعام الفطور على الجميع . غير ان الوقت قد فات . فالخبز بعد تعرضه لهواء الغرفة كل تلك المدة اصبح اقرب الى الخشب منه الى الخبز .. وكذلك البيض اصبح جافا ماردا . يصعب عليه ان يفتح الشهية .. هذه ليست مشكلة عارضة .. بل تحدث كل يوم . تقريبا .. لذلك ارى بعض المرضى وانا منهم يطلبون الشاى فقط وينازلون عن البقية ..

لنعد الى الحديث عن الحاج ابراهيم . وصاحبه . الشبح .. بالطبع لم يكن للحاج حديث غير قضية البارحة .. اخذ يستوقف كل ممرض .. كل موظف يمر به . ويطلب منه ان يحل له المشكلة .. اما انا .. او هذا الجنون .. رخصوني دعوني اذهب الى البيت فصحتى جيدة ... وعلى ما يبدو فقد اقتنع احد الممرضين بصواب راى الحاج فقرر ان يفعل شيئا .. او ربما كان القرار قد اتخذ من مسئول اكبر منه .. فماذا فعل .. ؟ جاء بحاجز حديدى لينبه فى جانب

السرير وبذلك سيمتنع المريض من ترك سريره .. حاول تثبيت ذلك الحاجز .. لكن السرير لم يكن مجهز بمفاصل خاصة لتثبيت مثل ذلك الحاجز .. فحاول ان « يلهمه » المسالة وبينما هو يحاول ان يثبته من جهة الراس ، كان الحاجز يضغط على رجل المريض من الجهة الثانية .. المريض يصرخ ، لكنه لم يكترث لصراخه وهو ليس ملام في هذه الحالة اذ من عادة المريض ان يصرخ دائما دونما سبب .. لكنه فطن اخيرا لخطئه .. ماذا فعل .. ؟ اعتبر ان ذلك لم يكن خطاه بل خطأ المريض المجنون الذي وضع رجله حيث لا يجب .. مما كان منه الا ان امسك برجل المريض وقذف بها بعنف حيث استقرت في المكان الصحيح .. ثم اخذ يتأمل المريض لدقيقة او اكثر .. وفجأة اتخذ قرارا جديدا .. رمى بالحاجز الحديدي جانبا .. وغاب لدقائق .. عاد بعدها وهو يحمل بيده لفافة من الاربطة ، قيد بها رجل ويد المريض ، واحكم وثاقها في أعمدة السرير .. وظل المريض يصرخ .. وتلك لم تكن بالمشكلة الصعبة ولو اراد المرض العبقري ان يجد لهذه المشكلة حلا في مستوى الحلول الاخرى لما كلفه ذلك شيئا .. فالاحجار كثيرة .. حجر واحد يضعه في فمه كفيل بان تخرس المريض طوال حياته القصيرة التي انتهت بعد ساعات فقط من عملية الصلب التي تحدثت عنها « هنا اود ان اورد وضيحا وهو .. انني اومن ايمانا عميقا بان موت المريض لم يكن بسبب الصلب ، او عدم الاهتمام الذي لقيه ، ربما كان بسبب المرض الذي يعاني منه ، بل وسافترض دون سابق علم بان حالة ذلك المريض كان ميئوسا منها وان موته محتم لا قرار منه » لكن تبقى عناك مشاعر انسانية لا يحق لنا ان نجرحها بهذه الطريقة التي لا استطيع وصفها بتعبير معين ... قد يكون المريض فعلا فاقدا لكل احاسيسه ، وكل مشاعره لكننا عند المرضى الاخرين نملك احاسيس ومشاعر نشطه تتاثر حتى ببصيص نظرات وفحة نقول .. اغبياء .. قذرون ، تلقى علينا كل صباح او نسمعها واضحة جلية من افواه المرضين .

وقت الغداء .. نفس المشكلة .. كل شيء جاهز .. لكن من يوزع الغذاء ؟؟ سمعت احد البحريين يقول .. مشجعا زملاءه .. لا تقوموا بهذا العمل .. الهنود يجب ان يقوموا بذلك .. اذا فعلتم ذلك مرة واحدة فانهم سيتعودون على ذلك وسيطلبون منكم ان تفعلوا ذلك دائما ..

وجاءت السكينة فاطمة اخيرا .. كانت تحدث نفسها : مساكين اكلهم صار بارد .. ما الذي استطيع عمله ؟ لدي الف شغل ؟ عبني عليكم كيف تستطيعون ان تاكلوا الرز بارد .. والصالونة أيضا .. ؟ سالتها الا تقدمون ملاعق مع الاكل .. ؟

قالت : كلا .. كل مريض يجب ان يحضر ملعقته من البيت .. ومع ذلك فساحاول ان احضر لك ملعقة .. قد استطيع الحصول على واحدة .. وقد جاءتني بواحدة .

بينما كنت انقوس في الملعقة .. سالني احد المرضين .. هل عناك اي خطا .. هل الملعقة وسخة ..

قلت : كلا .. لكن قل لي هل توجد في المستشفى ملاعق للمرضى قال : اجل .. ببيك واحدة منها ..

قلت : اتدري .. اشعر بخجل ، هذه الملعقة ملك خاص بشركة الطيران البريطانية .. هل جميع الملاعق من نفس النوع ؟

قال : لا .. طبعا .. لا .. ربما وصلت هذه الملعقة بطريق الخطا الى المستشفى عن طريق احد المرضى مثلا .. تعرف ؟!! لقد انتقلنا الى العنبر من مدة قصيرة لذلك فالاشياء ليست مرتبة بشكل صحيح حتى الان ..

قلت : اجل .. اعرف ، واقدر الموقف .. على ان الشيء الذي لا اقدر على فهمه هو ان لا توجد ملاعق بالمرة .. بل والامر من ذلك هو ان يسمح للمرضى بتناول طعامهم بايديهم .. لم يقل محدثي شيئا بل انسحب بهدوء .

خلال المدة التي مكثتها هنا خرجت بقناعة واحدة .. وهي .. انه ما لم تكن مستعدا للمشاجرة .. او ما لم تملك اعصابا من حديد .. فلا تطلب من احد المرضين ان يقوم لك بعمل .. كأن يحضر لك ماء ، او يغسل كوبا او ما شابه ذلك .. انه نفسيا اهون على المرء ان يحفر بئرا ارتوازيا بوسائل بدائية من ان يطلب كوبا من الماء البارد .

وهذه حكاية .. الحاج ابراهيم .. بصرخ .. رفيق .. رفيق .. ويجيبه احدهم : شنو فيه ؟؟

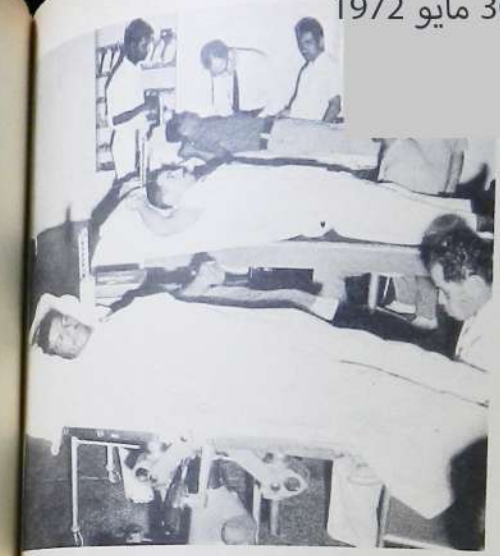

مستشفى السلمانية

● ماء بارد رفيق .. اريد ماء بارد

■ ما في ماي بارد .. ثلاجه خراب .. ما يشتغل .. لكنه بعد دقائق يعود بدلو ملىء بالماء ويسكب في اكواب جميع المرضى بما فيهم الحاج ابراهيم .. ثم يسال هل يريد احد منكم المزيد ؟؟

بمرور الايام عرفت ان الماء يصرف للمرضى بشكل دوري ، بالطبع هذا ليس قانونا ولكنه روتين .

وهذه حكاية اخرى ..

كان الوقت عصرا .. حين شعرت بالعطش ، ولم اكن استطيع المشي بسهولة .. احدهم كان يجلس على طاولة تبعد عن سريري حوالي عشر خطوات .. انادبه .. رئيس .. دكتور .. رفيق .. لم يجب اخذت اضرب بالكوب على الطاولة علّه ينتبه الي .. فلم يفعل زدت من حدة الضربات ، وعمك اصمخ .. تحاملت على نفسي وذهبت حتى مجلس .. قلت : اريد كوبا من الماء من فضلك .

قال دون ان ينظر الي : اذهب هناك في المطبخ .. تجد الماء في الثلاجة ..

وذهبت .. وجدت ان الثلاجة مقفلة .. سالت موظفا بجرينيا كان يقف هناك .. اريد ماء .. قال .. الماء في الثلاجة .. والثلاجة مقفولة .. والمفتاح مع الهنود .. وعدت ادراجي الى المرض نفسه اخبره ان الثلاجة مقفلة ..

قال : اذهب الى فراشه وسانتبك بالماء هناك .. وقد فعل ذلك جزاه الله خيرا .. لكن ذلك كان بعد ان ذهبت الى الحمام وشربت ماء من الانبوب .

وهذه حكاية ثالثة ..

الساعة الان الثانية عشرة الا ربعا .. احد المرضين يمر بالقرب مني .. قلت له بلهجة مهذبة جدا : ارجوك ان تبعث لي بشخص ليغسل هذا الكوب وهذه الملعقة . قال وهو يواصل سيره .. سافعل ذلك .. ساتوقف عن الكتابة لارى النتيجة .. الان الساعة الثانية عشرة والنصف يمر بي نفس المرض .. يرى نظرة التساؤل على وجهي .. يسالني وهو يمرق بسرعة الم يأتك احد بعد .. ؟ لم اجبه ، اذ اصبح بعيدا عني ـ للعلم اقول ان غسل الكوب هو من صميم عمل المرض نفسه ، او على الاقل من صميم عمله ان ياخذ الكوب بنفسه ويسلمه للشخص المسئول عن هذه الامور ـ لا زلت انتظر ان ياتي من يغسل الكوب ، وساستعير كوبا من المريض الذي يرقد بجانبي لان السعال يمزق صدري ولابد لي من شرب شيء ساخن لايقافه .. مرت ساعة واحدة .. ساعة ونصف .. وها هي الان الساعة الثانية الا ربعا .. استوقفته .. قلت : سيدي .. اتذكر منذ متى طلبت منك ان .. و .. وقاطعني قائلا : الم يات ذلك الغبي ليغسلها ، لقد اخبرته مرتين .. لقد ذهب الان الى حجرة الاشعة ، وحالما يعود ساخبره ، قالها وانسحب بسرعة .. الان الساعة الثانية والربع ظهرا .. والمرض المذكور يقف بجانب سريري بصحبة الدكتور على السدى .. وفي هذه الاثناء كان ممرض اخر يمر فاستوقفته ، وطلبت منه ان يقوم بغسل الكوب والملعقة .. دقيقة واحدة وكان الكوب والملعقة امامي نظيفين ..

قلت للممرض الماثل امامي وانا ارفع الكاس بيدي .. أرايت لم تستغرق العملية دقيقة واحدة .. بينما استغرقت معك ساعتان ونصف ولم تلجز ايضا ..

قال بغضاضة .. ما الذي تريدني ان افعل ، لقد اخبرت الشخص المختص ثلاث مرات ولم يات .. اتتوقع ان افعل ذلك انا بنفسي !!

قلت بحدة .. لا اتوقع بل اطلب منك ذلك .. اليس ذلك جزءا من عملك ؟ قال .. كلا .. ذلك ليس جزءا من عملي .. ذلك ليس عملي انه .. قلت حاسما النقاش .. بل هو عملك يا سيدي وسمعته بعد ذلك يقول كلاما لا داعي لذكره .. وقد تجاهلته تجاهلا تاما .. ذلك لان المسالة من اساسها تمثيل قصدت بها كما قلت ابراز نموذج معين بتفاصيله ، عن المعاملة التي يلقاها المرضى في هذا العنبر .. او « العنقل » .. والتي قد تكون سارية في جميع العنابر الاخرى .. وربما في جميع مستشفيات الحكومة ..

والان فقط اذكر باسف شديد تلك الرسالة التي استلمناها في المجلة من احد المرضى ، يشكو فيها الويل من المعاملة .. ومن سوء التغذية ومن عدم الاهتمام .. ببساطة وحزم قال رئيس التحرير .. كلا لا تنشر هذه الرسالة فهي تفتقر الى الادلة .. وركنت الرسالة جانبا .

خلاصا ان لا مبالاة بعض المرضين ، لا تنفي وجود افراد بينهم ، يخجلونك من شدة اسرافهم في تقديم الخدمات والعناية بالمرضى .. ولا يفوتني هنا ايضا ان اشير الى روعة المعاملة وحسن العناية التي يقدمها الاطباء للمرضى ، والتي تكاد تنسيهم ما يسببه المرضون لهم من عموم .

عقيل سوار
سرير رقم ٩
عنبر رقم ٤
مستشفى السلمانية

فرصة العمر

جوائز قيمتها ٣٠٠٠ دينار

تذاكر جمعية الهلال الاحمر واسبوع الصحة

السحب يوم ١٦ يونيو باستاد المحرق الرياضي

هذه الجوائز في انتظارك : مقدمة من :

١ ـ سيارة دايسون طراز ١٩٧٢	يوسف الموسى وشركاه
٢ ـ اسكوتر فسبا	محمد يوسف حسان
٣ ـ تلفزيون فيليبس ٢٣ بوصة	محمد مطرو واخوانه
٤ ـ حجيرة نوم المانى	عمان بلوح
٥ ـ غسالة اوانى كبيرة زوباس	مصطفى عبد اللطيف
٦ ـ غسالة عوض اتوماتيكية	جمشال واولاده
٧ ـ طقم صالون فاخر	عمان بلوح
٨ ـ ساعة يد رجالي اوميغا	محلات البيهاني
٩ ـ ثلاجة ٩ قدم طراز فينز ايطالية	محلات الجامع
١٠ ـ ثلاجة ٧½ قدم الكتـــرولكس امريكي	النسيم الدهني
١١ ـ تذكرة سفر الى القاهرة ذهابا وايابا	وكالة القصيبي للسفريات
١٢ ـ غسالة كهربائية ماركة جالا	احمد السيد هاشم الغريللي
١٣ ـ ساعة يد رجالي اترنا	يوسف احمد الساعي وشركاه
١٤ ـ سجادة تبريزي المانية	محلات بوكمال للسجاد
١٥ ـ سجادة انكليزي حجم ٩ × ١٢ قدم	محلات بوكمال للسجاد
١٦ ـ طقم منظ سنسونايت ٣ قطع	محلات البيهاني
١٧ ـ آلة عرض سنتمابـــه ٨ مم ريفوكس	محلات التاجرا
١٨ ـ ماكينة خياطة سنجر	محلات سنجر
١٩ ـ ساعة يد رجالي بونسرسال	احمد الملا
٢٠ ـ تذكرة سفر الى العراق ذهابا وايابا	الخطوط الجوية العراقية
٢١ ـ مسجل كهربائي توشيبا	عبد الله عيسى الشاعي واولاده
٢٢ ـ مطحنة لحم وخضروات ماركة ايطالية	محلات الليباري
٢٣ ـ لة كاتبة اوليفتي	محلات الغريللي
٢٤ ـ الة كاتبة رمنغتون	محلات ضيحي
٢٥ ـ ساعة يد نسائية زوديك	يوسف احمد الساعي وشركاه
٢٦ ـ حلة طبخ بخارية (جدر بخاري)	النجار الجديد
٢٧ ـ ساعة جدار	يوسف احمد الساعي وشركاه
٢٨ ـ طقم اقلام باركر ٥١	اسداق صفي
٢٩ ـ سكواد ساب كهربائية موزق	النمر الجديد

اغتنم الفرصة

الحظ يناديك